من عرش، وأين صاحبة عرش من صاحب عرش، فلا تشابه بينهما إلّا في الاسم!.

هنا وبعدما تم العرض من الهدهد لسبب الغياب، وأن الله أخرج خبء سبإ لسليمان بما غاب جندي له عن حشره، هنا لا يتسرع في تصديقه لزهوة الاتساع فى ملكه، ولا تكذيبه لاستصغاره وأنه ادعى حيطة له علمية أحوط من سليمان الملك النبي، وإنما يأخذ في التفتيش عن نبئه تأكداً من صدقه أو كذبه:

﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾:

﴿سَنَنظُرُ﴾ هنا هي نَظْرة الواقع انتظاراً، كما هي النظر في الواقع فلا تحصل إلّا نظِرَة نفس الواقع، دون نبإٍ آخر من شاهد آخر، ثم المحمّل لذلك التحقيق هو الهدهد نفسه، قطعاً لعذره، وحملاً عليه ما ادعاه من سفرته البعيدة لوقت قريب غريب، دون سائر الأمناء: عفريت من الجن أمّن عنده علم من الكتاب، فأحسِن بنظر في أمر يحمله صاحب الدعوى فيه!.

﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا﴾ الذي كتبته إليها وقومها ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ بهاء السكت في كلّ القراءات دون كسر، دون أعطه إياهم، علّه كيلا يأخذوك فيذبحوك أو يأسروك، وإنما «ألقه» وطبعاً من فوقهم جواً أو كوَّة، ولكي ينتبهوا من الإلقاء نفسه إنه أمرٌ خارق للعادة ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ إلى مكان بعيد عن أخذك، غير بعيد عن نظرك ﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿فَٱنظُرْ﴾ إليهم نظر البصر والسمع ﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ القول بعضهم إلى بعض، و﴿يَرْجِعُونَ﴾ كلهم إلينا، و﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ ردة فعل بعضهم إلى بعض ثم إلينا، ثم خبِّرنا بما ﴿يَرْجِعُونَ﴾.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾:

ذهب بكتابه المختوم غير المعلوم فألقاه إليهم، وطبعاً إليها كأصل في

خطابه كما النص ﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ﴾ دون «إنا» مهما كان خطاب الكتاب إلى الكلِّ، وقد تلمح ﴿أُلۡقِيَ﴾ المجهول أنها لم تعلم من ألقاه وكيف ألقاه مهما عرفت متاه، فلو كانت عارفة لأعلنت هذه العجيبة المنقطعة النظير، عجباً على عجب الإلقاء، بعجب ﴿كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ ولتحرِّز الملأ أكثر مما حرضتهم على إفتائهم في أمرها.

﴿قَالَتۡ﴾ بعدما قرأت الكتاب، وهو طبعاً كان بلغتها لكي تفهمه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ﴾ وهم ملأ الحاشية الملكية المساعدة للسياسة في المملكة ﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ﴾ إذ تلقته بإلقاء دون إيتاء، فهو تلقٍّ خلاف المتعود من لُقيا الكتاب ولكنه ﴿كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ وطبعاً من كريم، فكتاب الكريم كريم إلى أيٍّ كان، وكتاب اللئيم لئيم إلى أيٍّ كان، وليدرس الدعاة إلى الله كيف عليهم أن يكتبوا كتاباتهم الدعائية إلى أضدادهم، فضلاً عن أعضادهم، وكما نرى كتابات الرسول محمد ﷺ إلى الملوك والشيوخ وسائر الزعماء، كيف تحوي كرامات وكرامات، وقد أثرت في الأكثرية الساحقة منهم حُسناً.

لقد كانت لغة الكتاب الكريم وصيغته تحمل كلّ حزم وجزم، ابتداءً ببسم الله وانتهاءً إلى الإسلام لله، ولم يكن ليخفى صيت سليمان وصوته عن المملكة وملئها، وعلى أية حال فقد حق كرم الكتاب رغم دعوته المرة عندها، لحد تصارح ملأها رغم ملكتها البارزة أمامهم، إنه ﴿كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾.

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾ مجرداً عن كلّ مواصفة وتعريفة به، إذ كان معروفاً لديها وسائر الملوك ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ فالتأكيد الأوّل يؤكد كونه من سليمان، والثاني مضمونه في عرضها لمتنه الكامل، وقد تلمح ﴿إِنَّهُۥ﴾ هنا وهناك أنهما تعليلان لبيان كرم الكتاب، فكونه من سليمان من كرمه، وافتتاحه بسم الله الرحمن الرحيم، من أكرمه، حيث المشركون كانوا يتعقدون في الله أنه رب الأرباب، فلا يتأنفون - بطبيعة الحال - عن ذكر اسمه، بل ويؤصِّلونه في

عبادتهم لأصنامهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[١] - ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[٢]! فـ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ افتتاحية بارعة ترعبها، وهي أفضل آية في الوحي كله، وعلّها تختص الرسالة القرآنية، ومن قبل لسليمان عليه السلام، وكونها في النمل دليل قاطع لا مرد له إنها آية من كتاب الله خلاف ما يزعمه البعض من إخواننا السنّة إذ لا يبتدئون بها في الفاتحة أم وسواها من السور.

فكيف يصح كونها آية في النمل وليست آية في سواها وليست هي إلّا هيه؟! وهنا ندرس الأدب في مفتتح كلّ كتاب مهما كان إلى المشركين، وليعلموا شرعة الكاتب وعقيدته.

ثم ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ هو كلّ محتوى الكتاب، مسنوداً إلى البسملة، فـ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ۝٣١﴾ لا باسمي وبِسَمة المُلك والقوة، وإنما بسم الله، فالعلو علي كرسول علوٌّ على الله، وإتياني مسلمين إتيان في الإسلام لله، فقد فسّر متنُ الكتاب فرعاً من فروع ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ و﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فـ ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ﴾ هي ﴿أَلَّآ إِلَٰهَ﴾ ﴿وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فقد كان الكتاب «بسم الله - و - لا إله إلّا الله»!.

ثم ﴿وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ...﴾ كمتن الكتاب، قد تلمح أن سليمان كتب اسمه آخر الكتاب وكما هو قضية الحال في أدب الكتاب الحاوي اسم الله ألّا يقدم عليه اسم لسواه.

وهنا ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ﴾ دون ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ تفسر ﴿وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ أن ليس هو - فقط - الإسلام لله، بل هو بالفعل إسلام لسليمان، مهما كانت النتيجة الإسلام لله، فكما قالت: ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

(١) سورة يونس، الآية: ١٨.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٣.

وقد تعني ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾ كرسول، علواً على رسالة الله، إذا ﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ لله، ولكنه قد يكون تكليفاً بالإسلام قبل وصول الحجة، فليأتوا مسلمين له حتى يجدوا مجالاً لإسلامهم لله.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾:

بطبيعة الحال هؤلاء كانوا ملأ الفتيا السياسية في البلاط، لا كلّ الملإ العائشين تحت إمرتها، والفتوى من الفتى: الطري من الشباب، فهي النظرية الفتية فيما يطرح من هامة المسائل التي هي محط السؤال والقيل والقال، فـ ﴿أَفْتُونِى﴾ تعني ابدوا لي بالرأي الفتي الناضج ﴿فِىٓ أَمْرِى﴾ الإمر بأشد المآزق السياسية الملكية، حيث حار دونها لبها، فليشر عليها المشاركون معها في صالح المُلك، لا سيما وإنني لا أخبئ عنكم أمراً أقطعه في سياسة البلاد، وقد ابتليت بأمر هو المحور الأصيل فيها ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ كسراً: حتى تشهدونني كيف أقطعه، استصواباً له بمشهدكم، وقطع الأمر هو الرجوع بعد إجالة الآراء ومخض الأقوال إلى رأي واحد يصح العزم على فعله، والعمل عليه دون غيره، تشبيهاً بالإسداء والإلحام في الثوب النسيج، ثم القطع له بعد الفراغ منه، فكأنها أجالت الرأي عند ورود ما ورد عليها من دعاء سليمان لها إلى الإيمان به والاتباع له فميلت بين الاجابة والامتناع والملاينة والمخاشنة، فلما قوي في نفسها أمر الملاطفة عزمت على أمرها، وذلك هو قطع الأمر.

وحيث الكتاب الملقى إليها بمضمونه زلزل كيانها وكسر من سورتها فهي لا تضمر حرباً ضد سليمان، وإلا فلماذا المشورة، إلّا أن رجال الحاشية حسب عادتهم أبدوا قوة واستعداداً للحرب، وخضوعاً لأمرها على أية حال:

﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾:

﴿نَحْنُ﴾ بكامل استعدادنا للحرب ﴿أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ﴾ عِدَّةً وعُدَّة، لا فحسب بل

و﴿وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ تقديماً لكافة قواتنا واستعداداتنا للذب عن العدو، وعلى أية حال ﴿وَٱلۡأَمۡرُ﴾ الملكي أمراً أو نهياً في كلّ مأزق ﴿إِلَيۡكِ﴾ وليس إلينا، مما يؤكد أن السلطة كانت فردية استبدادية، مهما تشاورت الملكة في هذا الأمر الخاص، ولكنهم عطفوه إلى أمرها المتداول على سائر الأحوال ﴿فَٱنظُرِي﴾ أنت في نفسك ﴿مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾ ولكنها في موازنة القوة بين الجانبين مالت إلى سلاح الحيلة والملاينة، قبل سلاح المخاشنة، وبطبيعة الحال حين تنحل المشكلة بملاينة لا تصلح المخاشنة، فتمهيداً للمصالحة تُنذرهم بإفساد الملوك المتغلبين في الحروب حين تلمّح ميل رجال الحاشية إلى الحرب فزيفت هواهم وسفهت رأيهم في شوراهم، وأبانت لهم إن الصلح خير وإن أحضرت الأنفس الشح، وأن الأجدر بذوي العقول الصائبة البداية بالتي هي أحوط وأحسن ف:

﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٣٤﴾:

هذه شيمة الملوك وطبيعتهم قضيةَ زهوة المُلك والتوسع فيه، فإذا دخلوا قرية أفسدوها عن بكرتها، إباحة لذمارها وانتهاكاً لحرماتها، وتحطيماً للقوات المدافعة عنها ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ﴾ الحافظين لمكتها ﴿أَذِلَّةٗۖ﴾ تذليلاً لعناصر المقاومة فيها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ البعيد البعيد عن الكرامة ﴿يَفۡعَلُونَ﴾ بطبيعة أحوالهم.

ومما يطفئ نائرتهم، ويسكن ثائرتهم وفائرتهم إعلان الحب وإعلام الود بذريعة «هدية».

﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣٥﴾:

ولماذا ﴿بِهَدِيَّةٖ﴾ ومرسلة متعدية بنفسها؟ لأن مفعولها محذوف هو المرسلون بها، ولماذا ﴿إِلَيۡهِم﴾ دون «إليه»؟ علّه حفاظاً على سؤددها

وجبروتها، كأنها لا تحسب هنا حساب الشخص، أم أنها تحسبه مثلها مشاوراً ملأه في أمره كما شاورت ملأها في أمرها، أم لأن الهدية تهدِّء من ثورة الحاشية فيهدأ الملك..

هدية هي في الحق تجربة، فإن قُبلت فما أمرهم إلّا الدنيا وبالإمكان أن تعالج المشكلة بها، حيث وسائل الدنيا تجدي في حل مشاكلها، وإن لم تُقبل فهو - إذاً - أمرِ العقيدة، فلنتَّبعها إن صحَّت بحُججها، فلِمَ إذاً المحاربة المفسدة المذلّة المدمِّرة[1]؟.

إنها ترسل هديتها برسلها زعماً منها أن سليمان ملك كسائر الملوك الذين لا يريدون بالقتال إلّا فتح البلاد وغنم الأموال وأسر العباد، فعملت وفق ما زعمت وأرسلت إلى سليمان ما أرسلت.

هنا يسدل الستار على واقع تصميمها في ذلك المشهد المتضارب الآراء، وإلى مشهد الهدية الواصلة إلى سليمان:

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۡۖ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦﴾:

﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ الرسول بالهدية مهما كان معه غيره ﴿سُلَيۡمَٰنَ قَالَ﴾: ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾: تجذبونني إمداداً ﴿بِمَالٖ﴾ ضئيل قليل وكل متاع الدنيا قليل، أو تمهلونني لكي أمهلكم، أو أهملكم في دعوتي ﴿بِمَالٖ﴾ أو تؤجلونني تأخيراً عن دعوتي ﴿بِمَالٖ﴾ إمداداً ضد الدعوة الرسالية ﴿بِمَالٖ﴾؟.

(١) نور الثقلين ٤: ٨٩ عن تفسير القمي في القصة: ثم قالت: إن كان نبياً من عند الله كما يدعي فلا طاقة لنا به فإن الله عزوجل لا يغلب ولكن سأبعث إليه بهدية فإن كان ملكاً يميل إلى الدنيا قبلها وعلمت أنه لا يقدر علينا فبعث حقة فيها جوهرة عظيمة وقالت للرسول قل له يثقب هذه الجوهرة بلا حديد ولا نار فأتاه الرسول بذلك فأمر سليمان ببعض جنوده من الديدان فأخذ خيطاً في فمه ثم ثقبها وأخذ الخيط من الجانب الآخر..

وهو بطبيعة الحال أقبل عليهم قبل إبراز المال بوجه طلق يرحب بقدومهم ويتهلل للقائهم كما هو دأب الداعية الربانية بالنسبة لكل وارد أو شارد، ثم استشفَّ غرضهم من وفودهم وتعرَّف رأيهم، فتقدموا بما حملوه من مال يبتغون بها رضىً وقبولاً من النبي الكريم.

و«الهدية على ثلاثة أوجه هدية مكافأة وهدية مصانعة وهدية لله عَزَّوَجَلَّ»[1].

ولو كانت الهدية هدية التحية كان يقبلها، كيف لا وقد قبل فخذ جرادة من نملة؟ ولكنها كانت هدية المصانعة والتعمية عن الدعوة، رشاءً لعيناً بديلاً عن تصميم الداعية، فاستنكر موقفهم استهزاءً بالمال، وأنها هدية مضلة في مجال التعويض عن عامة الدعوة الربانية، أتقدمون هذا الرخيص التافه البخيس وعندي خير منه ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ كرسول ملك ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ على الإطلاق، وحتى في كلّ المنال، فضلاً عن خير الحال والكمال، فما عاد شيء من عرض الأرض التافه يسرني، فكيف يرضى مثلي أن يُمدَّ بمال يصانع به دعوة ربه، ولا يلهيني عن دعوتي ملء الأرض ذهباً، ولا حيطتها ملكاً.

﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ في مقياس الملك بقسطاس الزهوات والشهوات والمعطَيات المادية، وأنا لست ممن يصانع الملكة بمالها أو جمالها، اللهم إلّا بإيمانها وكما لها ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ ونحن بقضيتنا فارحون، وأين هدية مَلِكية من قضية رسالية؟.

أنتم تهشّون بهذه القيم التي لا قيمة لها عندنا؟ ولا نحسبها في حساب، إلّا ما يرضي ربنا!.

هنا ﴿ءَاتَىٰنِۦَ﴾ بيِّن لا ريب فيه لسليمان فإنه ككلِّ عطيةٌ ربانية، فكيف تقابله «ما أتاكم» وليست السلطة الجبارة الملكية مما آتاه الله؟.

---

(١) نور الثقلين ٤: ٨٦ في كتاب الخصال عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الجواب ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ . . .﴾[١] فكل المحاولات للحصول على الملك فاشلة إلّا أن يشاء الله، ولكنها مشية المحنة والعذاب للملك الجابر: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾[٢] فالملك الحق يحمل المشية التشريعية الربانية إلى التكوينية، والباطل يحمل الثانية وتخييراً دون تسيير، ألا يحجز - أحياناً - بين طالب الملك وطلبه، مهما حجزه تشريعياً.

وكيف يخاطبهم وهم رسل الملكة ﴿أَتُمِدُّونَنِ . . . مِّمَّآ ءَاتَىٰنِۦَ﴾ ولم يكن الإمداد إلّا من المَلِكة، ولا إيتاء المُلك إلّا لها؟.

﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾ تعنيها بحاشيتها الملكية ورسلها الأعضاد، حيث الهدية كانت بهم أجمع مهما كانت هي الأصل، ثم في تعبير الجمع تصغير لشأنها، قصداً إلى دمجها في ملئها إذ لا يرى لها شأناً تليق به أن تُذكر باسمها أو رسمها وكما قالتها هي ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم . . .﴾ إذ دمجت سليمان في ملئه، وهكذا يُعنى من «ما آتاكم» حيث العطية الملكية تشملهم مهما كانت هي الأصل، فهم بأجمعهم يحملون أوزار المُلك بأوضاره.

﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٣٧﴾:

﴿ٱرْجِعْ﴾ خطاباً للرسول الأصل، وكما قال من قبل ﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ الرسول بالهدية ﴿إِلَيْهِمْ﴾ الملكة بملئها، وطبعاً رجوعاً بالهدية إذ لم يقبلها ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾: لا طاقة لهم في قبالها ومقابلتها في عِدة أو عُدة أو قوة[٣] تهديداً شديداً لهم، حيث الهدية كانت ناطقة بأنهم غير آتيه مسلمين،

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥٥، ٥٦.
(٣) البحار ١٤: ١١٢ وقال الصادق عليه السلام . . . ﴿لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ [النمل: ٣٧] يقول: «لا طاقة لهم بها».

وقد تطلَّب منهم في كتابه: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾. ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً﴾ بعدما كانوا أعزة ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، فقد يُخرَج المحارب من بلده ذليلاً غير صاغر، بل هو مكابر تذله القوة، ولكنهم ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ حيث يلمسون الذل والصغار بكل كيانهم أمام جنود الله.

ولأن سليمان تلمَّح من حالة الملكة وقالتها وهويتها أنها لا تريد العداء، بل ويدفعها ذلك التهديد الحديد أن تأتيه بملئها مستسلمين، لذلك يعد لها عُدَّة لإتيانها إيّاه صاغرة مستسلمة، فحاول في إحضار عرشها قبل حضورها لتفاجأ برؤيته فتدفعها إلى إسلامها بعد استسلامها، حيث إن في هكذا مفاجأةٍ لرؤيتها عرشَها حجة بارعة ربانية[1] بعد حجة الكتاب الملقى إليها.

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾:

وهنا ﴿الْمَلَؤُا﴾ بطبيعة الحال هم الملأ القيادي سياسياً وروحياً، لأنهم من أعضاد الملك الرسالي، فهم النخبة المنتخبة من كلّ الإنس والجن الذين هم في حيطته الرسالية الملكية، وليعرف بالنخبة بينهم اقترح عليهم ﴿يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ فتقدم في ذلك السباق ﴿الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ فتبين انه الشخصية الثانية بعد سليمان عليه السلام.

وتراه متى ﴿قَالَ﴾... أدون فصل عن رجوع المرسلين ولمّا يصلوا؟

وصيغته الفاصحة «وقال...» عطفاً على «ارجع» ثم و﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي﴾ تلمح لِما قبل وصولهم لا قبل شروعهم في سفرتهم، فهنا اقتراح للإتيان بعرشها عنده قبل إتيانهم إياه، وليست خارقة العادة في الإتيان بعرشها إلّا أن

(١) نور الثقلين ٤: ٨٧ عن جوامع الجامع يروى أنها أمرت عند خروجها إلى سليمان فجعل عرشها في آخر سبعة أبواب ووكلت به حرساً يحفظونه فأراد سليمان أن يريها بعض ما يخصه الله به من المعجزات الشاهدة النبوية.

يكون بعد خروجها ثم وصوله قبل وصولها، وحراك العرش - بطبيعة الحال - أُبطأ من حراكهم، فليصل بعدهم، فوصوله قبلهم حجة إلهية، إضافة إلى أنه لم يكن له التصرف في عرشها بعد أن يأتوه مسلمين، ثم وأراد أن يختبر عقلها ﴿نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ﴾ ولا يجوز تنكير عرشها بعد إسلامها، ولا تستفيد منه حجة إذا أتي به بعدها! كما وأراد ألّا يبقى لقلبها تعلق بما وراءها حين تأتيه مسلمة وقد كانت تحب عرشها هائمة فيه! ولكن يبقى مجال القول في ﴿قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ إنه قبل رحيلهم حالة إسلامهم، كما تؤيده قولها بعد ما رأت عرشها ﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴾ وليؤكد سليمان أحلامها أمر أن ينكِّروا عرشها اختباراً لفراستها ومدى إسلامها.

وهل عجز سليمان نفسه عن أن يأتي بعرشها قبل قيامه من مقامه أم قبل أن يرتد إليه طرفه، فتطلّب إلى ملئه ﴿أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا﴾؟ طبعاً لا، فإنه كان إمامهم وأقوى منهم كلهم في كلِّ ما لهم ومنهم، ثم «ولم يعجز سليمان عن معرفة آصف لكنه أحب أن يعرف أمته من الإنس والجن أنه الحجة من بعده وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله ففهمه الله ذلك لئلا يختلف في إمامته ودلالته كما فهم سليمان في حياة داود ليُتعرَّف إمامته ونبوته من بعده لتأكيد الحجة على الخلق»[1] فقد امتاز من بين الملإ عفريت من الجن بين الجان، والذي عنده علم من الكتاب بين الإنس، وليُعلم من هو أحرى

(١) البحار ١٤: ١٢٧ روى العياشي في تفسيره بالإسناد قال التقى موسى بن محمد بن علي بن موسى عليهم السلام ويحيى بن أكثم فسأله عن مسائل قال: فدخلت على أخي علي بن محمد عليه السلام بعد أن دار بيني وبينه من المواعظ حتى انتهيت إلى طاعته فقلت له جعلت فداك إن يحيى بن أكثم سألني عن مسائل أفتيه فيها فضحك فقال: فهل أفتيته؟ قلت: لا قال: ولِمَ؟ قلت: لم أعرفها قال: وما هي؟ قلت: قال أخبرني عن سليمان أكان محتاجاً إلى علم آصف بن برخيا؟ ثم ذكر المسائل الأخرى قال: اكتب يا أخي: بسم الله الرحمن الرحيم سألت عن قول الله تعالى في كتابه: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [النمل: ٤٠] فهو آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان..